

المستوى: السنة الثانية ليسانس دراسات أدبية/ الفوج 03

المحاضرة السادسة: التشكيل الأسلوبي (الاختيار / التركيب / التوزيع)

يُمثل التشكيل الأسلوبي في جوهره عملاً إبداعياً يقوم به المنشئ لإنتاج نص، مستندا في ذلك إلى جملة من المتغيرات الأسلوبية، ويقوم هذا التشكيل على جملة من المحاور الأساسية التي لها ارتباط وثيق مع بعضها البعض وأهمها: الاختيار، التركيب، والتوزيع، والشيوخ.

أولاً: مفهوم المتغيرات الأسلوبية

يتم التشكيل الأسلوبي بالاستناد إلى مادته الأساسية التي حدد "سعد مصلوح" اسمها بـ "المتغيرات الأسلوبية"، وهي: "مجموعة من السمات اللغوية التي يعمل فيها المنشئ بالاختيار أو الاستبعاد، بالتكثيف أو الخلخلة، واتباع طرق مختلفة في التوزيع ليتشكل بها النص، وحينذاك تصبح المتغيرات الأسلوبية خصائص مميزة"، فالمتغيرات الأسلوبية هي خصائص أسلوبية مائزة للنص.

ثانياً: أصناف المتغيرات الأسلوبية

صنّف "سعد مصلوح" المتغيرات الأسلوبية إلى مجموعة من المكونات، معتبرا أنها أكثر المكونات شيوعاً في التشكيل الأسلوبي:

1- المتغيرات الشكلية: تعالج الصورة الطباعية أو التدوينية التي يظهر بها النص على الورق ومظاهر التشكيل الجمالي للحروف، ومنها ما يلي:

أ- التشكيلات التي تميّز الشعر عن النثر (نظام البيت).

ب- توزيع البياض والسواد على الصفحة (الشعر العمودي/ الحر).

ج- نظام الفراغات في الصفحة.

د- علامات الترقيم أو الوقف.

## 2- المتغيرات الصوتية:

أ- الوزن العروضي.

ب- السجع - الجناس.

ج- نظام القافية.

د- حسن الوقع للأصوات/ جرس الأصوات وأثره.

هـ- انسجام وتماتل الصوامت والصوائت.

## 3- المتغيرات الصرفية:

أ- أقسام الكلام (اسم، فعل، صفة، حرف...).

ب- الصيغ الصرفية (الأفعال، الجموع، المصادر، المشتقات).

ج- مبتكرات الصيغ.

## 4- المتغيرات التركيبية:

أ- أنواع الجمل (اسمية، فعلية، بسيطة، معقدة، إنشائية، خبرية).

ب- جميع مباحث علم المعاني في البلاغة.

ج- البعد التركيبي للصورة الشعرية (استعارة، مجاز، تشبيه).

د- الصحة النحوية.

## 5- المتغيرات الدلالية:

أ- الوحدات المعجمية.

ب- تنوع المفردات (قديمة، حديثة، دخيلة).

ج- الثروة اللفظية.

د- البعد الدلالي للصورة بأنواعها، والفنون البديعية.

## 6- المتغيرات ما فوق الجملة:

أ- طول الفقرات وتوزيعها.

ب- الربط بين الجمل.

ج- المعلومات المقدمة ومعدل ورودها.

لا يمكن للمنشئ أن يستخدم جميع المتغيرات المذكورة في نص واحد أو مجموعة من النصوص، وإنما يتحقق التشكيل باختيار عدد منها يتم من خلالها التمييز بين الأساليب.

## ثالثاً: الاختيار والتركيب:

أ/ الاختيار:

يمثل الاختيار والتركيب والتوزيع عوامل ثلاثة تحدد متضافرة التشكيل النهائي لأسلوب النص، وبها تتحقق مفارقة النص العادي للأسلوبي.

إن تعريف الأسلوب بأنه اختيار / انتقاء من التعريفات الشائعة والمعروفة في الدراسات النقدية الحديثة.

فالاختيار مصطلح يدخل في تعريف عملية الكلام ذاتها، ويُقصد به "مجموعة الألفاظ التي يمكن المتكلم أن يأتي بأحد منها في كل نقطة من نقاط سلسلة الكلام، ومجموع تلك الألفاظ القائمة هي الرصيد المعجمي للمتكلم، والتي لها طواعية الاستبدال فيما بينها".

ويُعرف أيضاً على أنه "انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة بغرض التعبير عن موقف معين، ويدل هذا الاختيار أو الانتقاء على إثارة المنشئ وتفضيله لهذه السمات على سمات أخرى بديلة، ومجموعة الاختيارات الخاصة بالمنشئ هي التي تُشكّل أسلوبه الذي يمتاز به عن غيره".

مما يُروى في التراث العربي ويدل على أهمية اختيار المبدع لألفاظه بعناية ويتوافق مع الغرض والمقام ومكانة المستمع، ما حدث بين "جرير" والخليفة "عبد الملك بن مروان"، حين أنشد جرير مفتخراً على الأخطل وقومه قائلاً:

هذا ابن عمي في دمشق خليفة \*\*\* لو شئت ساقكم إليّ قطينا

فلما بلغ ذلك الملك رد على جرير بقوله: "ما زاد ابن المراغة على أن جعلني شرطياً، أما إنه لو قال: لو شاء ساقكم إليّ قطينا لسقتهم إليه كما قال".

فالاختيار هو عملية واعية؛ إذ ينتقي المنشئ كلماته وعباراته وتراكيبه بعناية فائقة، وغلا فهم بنقيض مقصوده.

إن مجموع الألفاظ القائمة في الرصيد المعجمي للمتكلم، والتي لها قواعد الاستبدال فيما بينها، تقوم بينها علاقات من قابلية الاستعاض، تُسمى العلاقات الاستبدالية؛ لذلك سمي هذا المحور بـ "الاختيار".

مثال ذلك: إذا قال الإنسان "تناولت أكلةً شهيةً"؛ فإنه في مرحلة أولى اختار فعل "تناول" من بين مجموعة من الأفعال كان يمكنه أن يختار أحدها، فيقول مثلاً ( أكلتُ، طعمتُ، أخذتُ، أظرتُ... )

إلخ )، وفي مرحلة ثانية اختار "أكلة" من بين مجموعة ألفاظ على سبيل المثال (طعاماً، فطوراً، غداءً، لمجة...)، وفي مرحلة تالية وردت لفظة "شهيّة" وكان يمكن أن ترد ( لذيذة، مرة، حلوة، حارة... ).

فكل مجموعة من تلك الألفاظ تقوم بينها علاقات استبدالية؛ إذ تنتزل على محور واحد من محاور الاختيار، وإذا اختير أحدها انعزلت البقية، ولذلك قيل في هذه العلاقات إن بينها روابط غيابية؛ أي يتحدد الحاضر منها بالغياب، ويتحدد الغائب انطلاقاً من الحاضر.

والأمر ذاته ينطبق على المبدع؛ إذ يقَدّم له نظام اللغة إمكانيات هائلة، له أن يستخدمها للتعبير عن حالة واحدة أو موقف معين، وهذا يعني أن للمبدع الحرية في اختيار ما يريد مادام أنه يختار ما يخدم رؤيته وشعوره وموقفه، مثال ذلك الفرق بين قولك: مات، **انتقل إلى الرفيق الأعلى**، **هلك** فالمعنى واحد، لكن الاختيار يعكس موقف المتكلم النفسي والعقدي والاجتماعي.

#### أ-1/ أنواع الاختيار: هناك نوعان من الاختيار:

أ-1-1/ **اختيار نفعي**: وهو اختيار محكوم بالموقف أو المقام، إذ قد يؤثر المنشئ كلمة أو عبارة على أخرى؛ لأنها أكثر مطابقة -في رأيه- للحقيقة، أو لأنه يريد أن يُضلل سامعه، أو يتفادى الاصطدام بحساسية تجاه عبارة أو كلمة معينة، فلا بد من مراعاة الموقف والحالة التي يكون عليها المتلقي، فعلى المبدع أن يكون واعياً لمكانة المتلقي، حتى يكون مقنعا ومؤثرا فيما يقول.

أ-1-2/ **اختيار نحوي**: وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإمكانيات النحوية وقواعد اللغة بمفهومها الشامل (الصوتية، الصرفية، نظم الجملة...)، ويكون هذا الأمر حين يفضل المبدع أسلوباً على أسلوب، فتارة يستخدم التقديم والتأخير، فيقدم ما حقه التأخير ويؤخر ما حقه التقديم، مادام يرى أن هذا الأسلوب أكثر تحقيقاً للفائدة التي يتوخاها من عمله الأدبي.

## ب/ التركيب:

يُمثّل التركيب المحور الأفقي في اللغة، فبعد اختيار الكلمات تأتي مرحلة رصف هذه الكلمات وتركيبها حسب تنظيم تقتضيه بعضه قوانين النحو، وتسمح ببعضه الآخر مجالات التصرّف، وأطلق على هذا المحور أيضا محور التوزيع؛ لأن تنظيم العلاقات بين الكلمات هو بمثابة رصفها على سلسلة الكلام، وتتميّز العلاقات التوزيعية بكونها حضوريا، أي يتحدد بعضها ببعض كما هو موجود في سلسلة الكلام.

في النهاية فإن الأسلوب هو إسقاط لمبدأ الاختيار على محور التركيب. فالمؤلف يختار وينتقي من الألفاظ التي يتوفر عليها معجمه اللغوي ما يلائم موضوعه، ثم يبدأ في توزيعها وتأليفها في صيغ تتسجم مع الموضوع المراد، وهذه العملية تُمثّل لحظة الإبداع بالنسبة للمنشئ، إذ ينسج ويسبك أسلوبه وفي الوقت نفسه يضع نصب عينيه أنه في حضرة إنسان يفكر ويشعر، فيتجسد عندئذ مبدأ الاحتمال والتوقع.

## مراجع المحاضرة:

- خليفة بوجادي، اللسانيات النظرية.
- سعد مصلوح، الدراسة الإحصائية للأسلوب.
- يوسف أبو العدوس، الأسلوبية الرؤية والتطبيق.
- بن يحي فتيحة، الأسلوبية وتحليل الخطاب.